من أحاديث القهوة :

فى الحب . . .

. . . ولم تكن الا ستة واحدة حتى تمزق ذلك الثوب . وبدت من ورائه امرأة كهذه المئات من النساء : نبصرهن كل يوم فلا نكاد نحس بهن ولا يهجن فينا شعوراً

وكيف تبدلت ؟ ألم يكن يهيم بها ويراها جميلة فتانة ؟

بلى . ولكنه كان يراها جميلة لانه يحبها . والمرء — كما يقول ده كارت — يرى من يحب جميلا ، ولا يحب من يراه جميلا ، واذا هو أحب امرءاً أسبغ عليه من خياله ثوبا يراه به أجمل الناس

ـ وذلك الحب المضطرم ، الذى كان يخفق به قلبه فى صدره . وبه تجرى دماؤه فى عروقه ؟ . أليس عجيبا أنه قد مات ؟ أليس لها هاتان العينان العميقتان كالبحر . الصافيتان كاديم السماء . أليس لها ذلك الجسم الابيض الغض ، أليس لها تلك الرشاقة الفاتنة ، فكيف اذن يسلوها ويموت حبه اياها ؟

ـ قد مات هذا الحب . لانه لم يكن عذريا صافيا . وهى جميلة لاتزال ، ولكنه شبع منها كما يشبع الانسان من الطعام مهما لذ وطاب . ولو تنزه حبه عن مآرب الجسم ، وعقد الصلة بين الارواح لكتب له البقاء

وكان الاستاذ صالح عاكفا على نارجيلة لايتكلم ، فرفع رأسه وقال :

ـ أى بقاء ؟ أسمعت ان حبا كتب له البقـــاء ، ان الحب ياصـاحبي كالزهور العطرة ينعشك عطرها ويعجبك لونهـا ولكنها لاتعيش طويلا . ثم ماهو هـذا الحب العذرى الذى تتحدث عنه ؟ انه لايوجد الا فى مكانين : القاموس ، وأدمغة أمثالك من الناس !

وأقبل على نارجيلته يصلحها ويدعو لها بجذوة من نار . ولم يلق بالا لجواب فوزى ، فجذبه من طوقه وصاح به :

ـ ألا تسمع ؟ أنت دائما هكذا . . . تريد ان تتكلم ولا تتنازل للاصغاء

فاصلح ثيابه باسما وقال له :

ـ ولماذا تريد أن أصغى اليك ؟

ـ لانك مخطىء . . مخطىء . . أريد أن أوضح لك الحقيقة

ـ أشكرك ، لا أريد أن توضح لى شيئا

بل ستسمع وأنفك راغم : ان من الحب حبا لايفكر فيه الانسان فى شىء من اللذاذات الجسمية ، بل ليس لها فيه مكان ، فهو اتصال فى الارواح وتمازج ، هو ان يفنى كل من المحبين فى الآخر !

ـ شىء جميل . . من أين تعلمت هذا ؟ أمن شعر المجنون ، أم من قصص لامارتين ؟

ـ من أى كان ؟ . . ماذا يهمك أنت ؟ لماذا تتهكم دائما ؟

ـ ذلك لان لامارتين نفسه كان من أجرإ الناس على اللذة الجسمية وأشدهم تهالكا عليها ، وما كتب قصصه بهذا الاسلوب الفاتن الممتع ! إلا ليسخر منك ومن أمثالك

ـ أنا عرفت هذا الحب بنفسى

ـ وأنا أيضا قد عرفته ، انه حب لاتجد فيه الرغبة الجنسية سبيلا الى الظهور فتبقى مخبوءة فى قرارة النفس ، حتى اذا اتسع السبيل ظهرت على أتمها ، ولو انه كان خاليا منها لأحب الرجل أخته الجميلة!

ـ شىء فظيع . . . ان طبيعة الانسان تأباه

ـ نعم تأباه لان الطبيعة تفهم الحب على انه لون من ألوان الصلة الجنسية ، بل هو المخدر الذى ابتدعته الحياة لتمام هذه (العملية) اللازمة لبقاء الجنس البشرى . ثم . . . تصور فتاة جميلة تحبها حبا عذريا . . هل تصورتها تماما

ـ نعم .

ـ وتصورت انك تحبها لنفسها لا لجسمها ، ولا تطمع منها الا بهذه الصلة الروحية ؟

ـ نعم .

ـ وانك ستقيم على هذا الحب ؟

ـ نعم . . وماذا بعد ؟

ـ تصورها الآن وقد أصابها مرض عضال ، بدد محاسنها ، وبتر أعضاءها . وجعلها قطعة من اللحم المنتن ، هل تبقى على حبها ؟

ـ نعم ، إنى اشفق عليها وأحميها

فضحك الاستاذ صالح وقال :

ـ ها أنت ذا قد اعترفت . . إن الشفقة شىء غير الحب . . أرأيت كيف اتضحت الحقيقة ؟

وأراد فوزى وقف الجدال فقال :

وصديقنا جميل ... ماذا فعل بعد ذلك ؟ قد أضعت علينا قصته.

أعاد الى زوجته الجاهلة القذرة التى تلقاه وعلى يديها أثر الصابون وفى ثيابها رائحة البطيخ ؟ .. كيف يطمئن اليها ، ويأنس بها بعد أن عرف لويزا ؟

فقال صالح :

ـ ان يكن للويزا جمال الاصباغ والعطور ـ والثياب الشفافة ـ والاعضاء العارية ـ فان لهذه الجاهلة القذرة ، جمال الاخلاص والاصباغ والعطور تهيج من نفوسنا مكان الشهوة . اما الاخلاص فيهيج منها مكان الروح

ـ ماهى الروح وما هى الشهوة ؟ .. انى لم افهم ! أتريد أن تقول إن هذه المرأة التى لا تعرف كيف تتحدث الى صديقنا جميل . ولا تدرى كيف تسايره فى شارع أو تصحبه الى سينما ، ولا تدرك أفكاره ونفسه ، توائم روحه ويراها جميلة أكثر من لويزا ؟ .. مستحيل !

ـ قد تكون دونها جمالا ورشاقة ، ولكنها امرأة شرقية تفنى فى زوجها : تعيش من أجله . وتقف حياتها على راحته وتسهر عليه لينام ، وتحرم على نفسها الطيبات لتوفر عليه ماله ، واذا رأته محتاجا نزعت حليها من نحرها وأخذت لقمتها من فيها لتسد حاجته ، واذا مرض فدته بنفسها . وإذا أصابه مكروه طارت نفسها عليه شعاعا ، ثم هى الراضية أبدا ، القانعة بالقسط الأقل من حبه أو من ماله ، أحب هذه العاهرة وانتزع المال من فم زوجته ليصبه على قدميها . ونال زوجه بالأذى من أجلها ، فما شكت ولا حملت له كرها ولا حقدا ، ثم هى تفرغ عليه من الاجلال مايجعله معصوما عن الزلل والخطأ ، أتقيسها بتلك ؟

ـ ها ها .. انها لا تصلح خادما. فليضح بها من أجل لويزا .

ـ إنها هى الزوجة ياسيدى

ـ واذا كانت هى الزوجة ؟ إن الحب الذى عقدته الطبيعة بين قلبيهما أوثق وأقدس من الزواج الذى عقده انسان !

فالقى صالح أنبوبة الزجاجة من يده . وصاح به فى شدة وغضب:

ـ أنا لا استطيع أن اسمع هذه الآراء التى تنسف حياتنا من اساسها ، واذا هى صحت فى المجتمع الغربى ، فما كانت لتصح عندنا ، ومن الجنون أن نقبس عن الغرب كل ما يأتينا به ، فلبسه وهو ثوب فصل لغيرنا ، فيجىء واسعا نضيع فيه ، أو ضيقا يتمزق من دوتنا . . . إن الحب الذى تعقده يد الشهوة ، ويعيش فى جو مشبع بالرذيلة ، ويولد فى ليلة ليموت فى أسبوع لا يمكن أن يكون اوثق ولا اقدس من الزواج الذى ينشىء انسانا كاملا من نصفى انسان ! واذا جعلنا الحب اساس الحياة ، لما عرف امرؤ اباه ، ولما بقيت زوجة لزوجها ، لأن القلوب تتغير والمرأة التى تحبك اليوم قد تحب فى غدك غيرك ، والقلب الذى يميل اليك قد يميل عنك ، افهدم الحياة ياسيدى من أجل خاطر هذه (المودة) ، .. (مودة الحب) ، ونقتل زوجاتنا الوطنيات الشريفات ، أمهات شعب المستقبل . من أجل خاطر هؤلاء (الارتستات) اللاتى يبعث بهن الينا الغرب فيما يبعث به الينا من سموم ومهلكات . . . اليس خيرا لنا أن يقال انا رجعيون من أن نشهد بناتنا واخواتنا عاريات على الشواطىء فى الصيف ، ونساءنا مهجورات باكيات فى البيوت فى الشتاء ، وأبناءنا ناشئين بين الألم والرذيلة ، والسفالة والشقاء ؟

ألا إن الحب لذيذ ممتع ، والمدنية ساحرة فاتنة ، والتجديد ضرورى واجب . . . ولكن يجب اولا أن نحيا . . . . . وكان جميل قد وصل فانقطع هذا الحديث ، وأخذوا فى حديث آخر .

دمشق — علي الطنطاوى

لد انتيه فى الحقوق